

الناس وعمروها، حتى - وكما يقول المؤرخون - لم يبق بها موضع من غير عمارة، وصارت شوارعها مسلوكة، وأزقتها مطروقة، وقصورها عامرة، وبساتينها ناضرة .

وقد ظلت بولاق حول مسجد السلطان أبي العلاء، قلعة إيمان وميناءً كبيراً حتى أن المؤرخ المغربي أبو بكر العباسي الذي زار القاهرة عام ١٠٣٥ هجرية وصفها بأنها «مرسى القاهرة الكبير التي تجتمع فيها مراكب دمياط ورشيد والصعيد». ووصف جامع أبي العلاء بجامع الساقية.

والرحالة عبد الغنى النابلسي الذي زار القاهرة عام ١١٠٥ هجرية قال في بولاق: «ذهبنا مع حضرة الشيخ زين العابدين إلى جهة بولاق المعروفة في مصر على شط بحر النيل، فمررنا في الطريق على قبر الشيخ أبو العلا، فقرأنا الفاتحة». إن وجود هذا القطب من أقطاب آل البيت وسط البولاقيين جعلهم مؤمنين مكافحين، وصار هو كالرحى يدور حوله الناس.

يدل على ذلك ما فعله أهل بولاق في ثورة القاهرة الثانية أيام الحملة الفرنسية على مصر، فالجبرتي يصف البولاقيين الذين ثاروا للقاهرة ضد الغزاة الفرنسيين، ويقول: «أما بولاق فإنها قامت على ساق واحدة، وتحزم الحاج مصطفى البشتيلي «سر التجار» وأمثاله وهيجوا العامة وهيئوا عصيهم. وأسلحتهم ورمحوا وصفحوا. وأول ما بدءوا به أنهم ذهبوا إلى وطاق الفرنسيين الذي تركوه بساحل البحر - يقصد النهر - وعنده حرس منهم، فقتلوا من أدركوه منهم، ونهبوا جميع ما به من خيام ومتع ومتاع وغيره، وأخذوا ما أحبوا منها، وعملوا كرنك حوالى البلد ومتاريس».

بمعنى أن أهل بولاق هم الذين بدءوا ثورة القاهرة الثانية. وكان مما ذكرته كتب التاريخ أن أهل بولاق صنعوا «القنابل من حديد المساجد وأدوات الصنائع، وفعلوا ما لا يمكن تصديقه. صنعوا المدافع».

وقد ضحت بولاق في الثورة ضد كليبر، فاحترقت كلها، حيث يقول الجبرتي: «هجموا على بولاق من ناحية البحر، ومن ناحية بوابة أبي العلاء، وقاتل أهل